العقلُ وما نَعْقِلُ!! (1)

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa171-050617.pdf

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

ما يحصل في مجتمعاتنا ينبع من آفات عقلية ذات مردودات سلبية , وقدرات مُعدية تصيب الرؤوس ببوائيات فتاكة

الحضارة في العقل , ومَن عَقَلَ تحضّرَ , والقوة في العقل , ومَن إستثمر في العقول صار أقوى وأقدر

البشر يمكنه أن يفقد عقله أو يبعده تماما عن دوره في الحياة, ويحل محله قوة عاطفية متأسدة تمتلكه بالكامل فتحقق فعلها ودورها فيه

يتحقق الفقدان العقلي عند البشر عندما يتعرضون لشدائد هائلة وضغوطات فائقة , قد تكون حادة أو مزمنة التأثير, لكنها تخترق البشر وتهز كل خلية في جسمه , وتغرس في أعماقه إحساسا هائلا بالألم والمعاناة النفسية الموجعة القاسية

الدماغ البشري يكنز الداء والدواء , بما يتصل به من آليات تفكيرية ونشاطات عقلية وإدراكية , ذات إستحضارات فكروية وتكريرات وإبتكارات وإبداعات وصيرورات متجدة ومؤثرة في الواقع الذاتي والموضوعي .

وحالما تصيب الرؤوس آفة لها القدرة على تنميط التفكير وقولبته وتصنيعه وفقا لإرادة الفكرة المحشوة في الأدمغة , فأن متواليات السلوك الناجمة عن هذا الإحلال الخلاق المتواصل ستؤدي إلى تفاعلات منسجمة معها في الواقع الذي تكون فيه.

وما يحصل في مجتمعاتنا ينبع من آفات عقلية ذات مردودات سلبية , وقدرات مُعدية تصيب الرؤوس ببوائيات فتاكة , تساهم في تسويغ ما هو شائن ومرفوض ومناهض للحياة التي حافظت على بقاء الناس وتعايشهم الآدمي السليم.

وعليه فالتوجه نحو تطبيب العاهات العقلية هو السلوك الأصوب , الذي سيداوي العلل الناجمة عنها والمساهمة في مواكب النواكب والبلايا المتفاقمات في عصر تسعى البشرية فيه نحو آفاق العلم المطلق الفياض , القائم على تحرير العقل من الموبقات والأصفاد الحمقاء التي تصيبه بطاعون التعفن والإستنقاع.

والحضارة في العقل , ومَن عَقَلَ تحضّرَ , والقوة في العقل , ومَن إستثمر في العقول صار أقوى وأقدر , وتلك آليات الكينونات الأرضية الكبرى , وفي التأريخ أمثلة لا تُحصى عن إرادات الفعل العقلي في صناعة المجد المعرفي والحضاري المتميز , وفي عصرنا آيات لأولي الألباب.

أولا: الفقدان العقلي!!

البشر يمكنه أن يفقد عقله أو يبعده تماما عن دوره في الحياة, ويحل محله قوة عاطفية متأسدة تمتلكه بالكامل فتحقق فعلها ودورها فيه.

ويتحقق الفقدان العقلي عند البشر عندما يتعرضون لشدائد هائلة وضغوطات فائقة , قد تكون حادة

أو مزمنة التأثير, لكنها تخترق البشر وتهز كل خلية في جسمه , وتغرس في أعماقه إحساسا هائلا بالألم والمعاناة النفسية الموجعة القاسية , التي لا تترك مجالا إلا للغضب المتفجر والفعل القوي المنحرف, الذي لا يمثل إلا دوامة مدوية من الإنفجارات الإنفعالية , التي تضر أعظم الضرر وتساهم في إنكباس الطاقات الإنفعالية وزيادة قوة تفجيرها وتأثيراتها التدميرية.

أي أن البشر يدمر نفسه وغيره ويدخل في معصرة الآهات الطاحنة والويلات المتمكنة والأوجاع الساخنة , لتحوله إلى قوة سلبية فتاكة.

وعندما ينسى البشر عقله , لايمكن لأي عاقل أن يجد دورا للعقل لسيادة الإنفجارات الانفعالية والثورات النفسية الغاضبة اللاهبة.

ويبقى من بقي في جعبته بعض عقل يتساءل متى تثوب الأشياء إلى رشدها , ومتى تهدأ براكين الغضب البشري.

ومَن يتأمل وقائع الأحداث والمصائب البشرية, يدرك أنها مولودة في أزمنة الموت العقلي لمجموعة من البشر في هذه البقعة من الأرض أو تلك.

إن البشر الذي يمر بمآسي متواصلة , تصيبه في صميم وجوده وشخصه وعاطفته , لا يمكنه أن يركن إلى عقله , بل أنه يغطس في نار الثأر والإنتقام والتعبير عن طاقاته الإنفعالية المكبوسة في أعماقه على مدى معين من الزمن.

وحينما يطول زمن الويلات والدمارات ويزداد البشر إختناقا وبؤسا وألما وإحساسا بالقهر والظلم, فأنه يختزن طاقات إنفعالية بركانية الإقتدار والتأثير, تتفجر حينما تتوفر الأسباب والظروف اللازمة لتخفيف الضغط وتحقيق التنفيس الإنفعالي المطلوب.

ويكون تأثير تلك الإنفعالات والعواطف والشحنات الغاضبة الكامنة , ضعيفا عندما يتم إزالة الضغط تدريجيا, لكنها تكون ذات تأثير إضطرابي وتخريبي هائل , كأنها براكين هائجة تلقي بحممها على من حولها, عندما يكون زوال الضغط مفاجئا وكليا, عندها يتحقق الإنفلات التام والخطر العام, وتتحول أرض البشر إلى جحيم إنفعالي ملتهب لا يبقي ولا يذر.

وهنا يدخل البشر في مجزرة المآسي والدمارات التي لايمكن لأي عقل أن يدركها , بل أن النيران تتفاعل مع النيران, والغضب يؤجج الغضب, والموت يأتي بالموت, والشر يدفع إلى الشر, فتتنامى المصائب وتعم الشرور, ويبقى البشر المضغوط البائس أسيرا مستعبدا من قبل مشاعره وإنفعالاته السلبية الضارة.

وبعد أن تأخذ الأضرار ما تأخذه وبعد أن يفقد البشر ما يفقد في جحيم الويلات, يدخل في مرحلة

عندما ينسى البشر عقله , لايمكن لأي عاقل أن يجد دورا للعقل لسيادة الإنفجارات الانفعالية والثورات النفسية الغاضبة اللاهبة

مَن يتأمل وقائع الأحداث والمصائب البشرية, يدرك أنها مولودة في أزمنة الموت العقلي لمجموعة من البشر في هذه البقعة من الأرض أو تلك

إن البشر الذي يمر بمآسي متواصلة , تصيبه في صميم وجوده وشخصه وعاطفته , لا يمكنه أن يركن إلى عقله

حينما يطول زمن الويلات والدمارات ويزداد البشر إختناقا وبؤسا وألما وإحساسا بالقهر والظلم, فأنه يختزن طاقات إنفعالية بركانية الإقتدار والتأثير, تتفجر حينما تتوفر الأسباب والظروف اللازمة

يكون تأثير تلك الإنفعالات والعواطف والشحنات الغاضبة الكامنة , ضعيفا عندما يتم إزالة الضغط تدريجيا

مطاردة السراب , والسعي وراء ماء يطفئ فيه ما أججه من نيران, لأنه قد أفرغ مافية من طاقات العواطف والإنفعالات التدميرية ووجد أنه لم يكن مصيبا, بل قد تحول إلى مدمن على ممارسة الشرور التي أخذت منه كل ما عنده فجاء يبحث عن علاج , عمّن يسترجع إليه بعضا مما كان لديه ولكن هيهات.. هيهات.

وحينما تستيقظ في أعماق البشر بذور الخير والأمل والمُثل الحميدة , يجد نفسه في مأزق إنفعالي آخر ومأساة ذاتية أليمة.

لقد حققت الضحية ضحايا, وزرعت آلاما وأحزانا وتملكها تأنيب الضمير القاسي , وإستعبدها الندم والبهتان, ولا ينقذها من وجع الحياة إلا سلطان الموت الحكيم.

هكذا تصنع البشرية فواجعها, وهكذا تحقق مآسيها وتنزف دماءها وتقتل أبناءها وتدمر حضاراتها وتقضي على معنى الإنسان فيها!!

ثانيا: العقدة والحل في العقل!!

عندما يذهب العقل , وتتمكن العواطف والإنفعالات , يبدأ مرجل المشاكل بالغليان, وتتحقق تداعيات وتفاعلات قاسية , وتمتلك مسيرة الوجود إرادة الغاب.

وعندما يستطيع العقل أن يفرض صوته , ويرفع راياته , تبدو الحياة بمفرداتها ذات وجه آخر , وصورة جديدة , وربما أكثر جمالا وفتنة وروعة.

وعلة البشر , أن وجوده مرهون بقوة الجر ما بين العاطفة والعقل ,فإذا مالت القوة نحو العاطفة حصدنا نتائج وخيمة , وإذا صار العقل أقوى وأقدر , جنينا أثمار السعادة والسلامة وطيب الحياة.

ولا يمكن لحالة أن تبقى على ما هي عليه , فلا عقل يسود دوما ولا عاطفة , وكأن لكل منهما دوره وعمره المرهون به.

فالبشر لا يمكنه أن يكون حالة عاقلة متمسكة بمعطيات عقلها وحسب , لأن ذلك سيختزن طاقة عاطفية , ذات قدرات إنفجارية عالية ومؤثرة في محيطها , أي أن العاطفة والعقل تتبادلان الأدوار.

وفي عالمنا المعاصر , بآلياته المتصارعة , هناك العديد من العقول المستثمرة في التأجيج الإنفعالي والتحشيد العاطفي , فترى مجتمعات قد تحولت إلى كتلة عاطفية ملتهبة , مما يُسكب فيها من مُوقدات النيران.

ومجتمعات منطقة الشرق الأوسط , تقع ضمن هذه المجتمعات المأسورة بعواطفها , والمملوكة من

تكون ذات تأثير إضطرابي وتخريبي هائل , كأنها براكين هائجة تلقي بحممها على من حولها, عندما يكون زوال الضغط مفاجئا وكليا, عندها يتحقق الإنفلات التام والخطر العام, وتتحول أرض البشر إلى جحيم إنفعالي ملتهب لا يبقي ولا يذر

حينما تستيقظ في أعماق البشر بذور الخير والأمل والمُثل الحميدة , يجد نفسه في مأزق إنفعالي آخر ومأساة ذاتية أليمة.

عندما يستطيع العقل أن يفرض صوته , ويرفع راياته , تبدو الحياة بمفرداتها ذات وجه آخر ,
وصورة جديدة , وربما أكثر جمالا وفتنة وروعة

علة البشر , أن وجوده مرهون بقوة الجر ما بين العاطفة والعقل ,فإذا مالت القوة نحو العاطفة حصدنا نتائج وخيمة , وإذا صار العقل أقوى وأقدر , جنينا أثمار السعادة والسلامة وطيب الحياة

قبل الآخرين الذين يستخدمون عقولهم , لتأجيج الوجود العاطفي فيها , وجني ثمار مصالحهم وأهدافهم.

فما تحقق في بلداننا , عبارة عن سعير إنفعالي , يتم إيقاده بصنوف العوامل والعناصر , والمؤججات اللازمة لحفاظ على دوام إستقادته , فتحول كل موجود فيه إلى رماد.

فهل ستتحرر المنطقة من أصفاد العواطف والإنفعالات؟

وهل ستتمكن من إستخدام عقلها ورؤية حاضرها ومستقبلها؟!

ثالثا: العقل العربي المعقر بالنفط!!

عندما سقط جدار برلين في 1989\11\9 , لم يستوعب العرب الدرس والمعاني الرمزية وتجاهلوا تماما إتجاهات تفاعلات المعادلات السياسية والإقتصادية والثقافية , وأمعنوا التعفر بالنفط حتى صار كل شيئ من حولهم أسودا!!

وكانت أول خطوات فهمهم لما يجري بأن أغار الأخ على أخيه , ووقف العرب مذهولين محنطين ينفذون إرادة الأسياد ويعبرون عن الأحقاد , وما عرفوا حلا لما جرى , بل تم إستدعاء قوى الأرض الفتاكة وتعاونوا معهم للفتك بأخيهم المعتدي أو الضال , أو الذي أصابه ما أصابه من رزاءة التفكير والحال.

وما أدركوا الحالة القائمة المتجددة في العالم , وما إستشرفوا التغيرات القادمة , وما عليهم أن يفعلوه لكي يتواكبوا ويكونوا قوة متماسكة ذات قيمة سياسية وإقتصادية نافذة , وإنما إندحروا بآبار النفط وحسبوا أنه سيصنع حياتهم ومستقبلهم الأفضل , وما عقلوا أو فطنوا لما يلوح في أفق المسيرة القادمة التي تستهدفهم جميعا وبلا تمييز , ووفقا لسياسات أكلهم فرادا وبتعاونهم ومشيئتهم , حتى صار عند العرب ولائم لأكل الأخ مشويا على نيران الآخرين وبأموال النفط العربي.

وللنفط الدور الأكبر في تشكيل آليات التفكير العربي المتسمة بالعجز والإتكالية والتبعية والخمول الإبداعي واللاشعور بالمسؤولية الوطنية والإنسانية , وتسخير الدين لغايات تدميرية وتفاعلات تخريبية خبيثة ومقيتة.

فالنفط أوجد فراغا هائلا في الحياة العربية ومنع الأجيال من فرص التحدي والإبداع والإبتكار والتفاعل الإيجابي مع الحياة , لأن النفط قد أوجد طبقات ذات ثراء فاحش وعامة ناس في فقر مدقع وحاجات قاهرة لا تتمكن بسببها من التعبير عن طاقاتها الإيجابية , لأن دواعي إطلاق الطاقات السلبية تحاوطها وتتنامى معها أينما تكون.

البشر لا يمكنه أن يكون حالة عاقلة متمسكة بمعطيات عقلها وحسب , لأن ذلك سيختزن طاقة عاطفية , ذات قدرات إنفجارية عالية ومؤثرة في محيطها , أي أن العاطفة والعقل تتبادلان الأدوار

ما تحقق في بلداننا , عبارة عن سعير إنفعالي , يتم إيقاده بصنوف العوامل والعناصر , والمؤججات اللازمة لحفاظ على دوام إستقادته , فتحول كل موجود فيه إلى رماد

عندما سقط جدار برلين في 1989\11\9 , لم يستوعب العرب الدرس والمعاني الرمزية وتجاهلوا تماما إتجاهات تفاعلات المعادلات السياسية والإقتصادية والثقافية

ما أدركوا الحالة القائمة المتجددة في العالم , وما إستشرفوا التغيرات القادمة , وما عليهم أن يفعلوه لكي يتواكبوا ويكونوا قوة متماسكة ذات قيمة سياسية وإقتصادية نافذة

للنفط الدور الأكبر في تشكيل آليات التفكير العربي المتسمة بالعجز والإتكالية والتبعية والخمول الإبداعي واللاشعور بالمسؤولية الوطنية والإنسانية

ووفقا لحالة التجاهل والعماء الحضاري الذي أوجده النفط , فأن المجتمعات العربية دخلت في دوامات إستهلاك وجودها وتدمير ذاتها وموضوعها على مدى عقودٍ مضت , ولا تزال في دوامة التداعيات المتفاقمة التي تمحق وجود مجتمعات كاملة فيها.

وهذا يعني أن العرب قد دخلوا في نفق طويل من التصارع الإنقراضي الإتلافي الطويل , الذي ربما سيطغى على القرن الحادي والعشرين وما بعده , حتى تتسيد عليهم قوة تستعبدهم تماما وتسخر طاقاتهم لمصالحها وتطلعاتها الحضارية والتأريخية.

أي أن العرب بعد عقود سيُمتلكون إذا لم يتداركوا مصيرهم ويتحسبوا ويؤمنوا بأن عليهم أن يكونوا عصبة واحدة , ويؤسسوا لإتحادهم العربي على شاكلة الإتحاد الأوربي وبأقرب وقت , وبصدق وإيمان مطلق بأن قوتهم بإتحادهم , وأن مصيرهم على شفا حفرة من النار إن لم يفعلوا ذلك.

فقد كان على العرب أن يفهموا أن سقوط جدار برلين إعلان للإتحاد , وليس بطاقة دعوة للهلاك والتعادي والعدوان ما بين الأخوان!!

رابعا: العمى العقلي!!

نوع من العمى الخطير الذي يتسبب بأفدح الخسائر وأفظع التداعيات , لأن البشر الأعمى عقليا , يتحول إلى طاقة سوءٍ هوجاء , لا تعرف الهوادة , ولا يمكنها أن تدرك ما حولها , وإنما تحقق رؤيتها السقيمة , وتندفع بإستجاباتها الرجيمة.

فالعمى العقلي , ينجم عن هيمنة آلية ونمطية من التفاعلات , ما بين الفرد والجماعة والمحيط , وهذه النمطية تمنع وعي وإدراك ورؤية , وتقدير وتقييم وفهم أي حالة , أو موضوع أو صورة , أو فكرة أو رأي , لا تستوعبها تلك النمطية , أو الآلية المُستعبدة للعقل , مما يؤدي إلى إحتدام التفاعلات الضارة بالجميع.

فعلى سبيل المثال , الأعمى عقليا , لا يمكنه أن يقر بوجود الفظائع المتكررة من حوله , ويسعى حتى لتسويغها وتبريرها , ويحسبها حالة غير حاصلة أو موجودة , ولا يكلف نفسه النظر فيها , وإنما ينقطع تماما عنها .

ويحسب الذين يتحدثون عن وجودها , أعداءً وأصحاب نوايا مغرضة يستهدفونه , وتمضي دوامة التفاعلات المريرة , وهو في نأي عنها وعزلة نفسية وحسية وإدراكية.

ووفقا لحالة التجاهل والعماء الحضاري الذي أوجده النفط , فأن المجتمعات العربية دخلت في دوامات إستهلاك وجودها وتدمير ذاتها وموضوعها على مدى عقودٍ مضت

أن العرب قد دخلوا في نفق طويل من التصارع الإنقراضي الإتلافي الطويل , الذي ربما سيطغى على القرن الحادي والعشرين وما بعده

أن العرب بعد عقود سيُمتلكون إذا لم يتداركوا مصيرهم ويتحسبوا ويؤمنوا بأن عليهم أن يكونوا عصبة واحدة , ويؤسسوا لإتحادهم العربي على شاكلة الإتحاد الأوربي وبأقرب وقت

البشر الأعمى عقليا , يتحول إلى طاقة سوءٍ هوجاء , لا تعرف الهوادة , ولا يمكنها أن تدرك ما حولها , وإنما تحقق رؤيتها السقيمة , وتندفع بإستجاباتها الرجيمة.

العمى العقلي , ينجم عن هيمنة آلية ونمطية من التفاعلات , ما بين الفرد والجماعة والمحيط

وهذا السلوك ينطبق على الفرد والفئة والحزب وكل مَن يملك القوة ويتمسك بها , ويحسبها الحياة لا غير.

وفي واقعنا الإجتماعي والسياسي والثقافي , ما لا يُحصى من الأمثلة على العمى العقلي الفاعل في صياغة مناهج الأيام الصعبة المتعثرة ببعضها.

فأية مشكلة تبقى بلا حلول وفي تنامي , ذلك أن المسؤولين عنها يعيشون في حالة العمى العقلي , لأنهم في لا وعيهم لا يقرون بوجودها , ويحسبونها أمرا عاديا أو ضروريا لا بد منه , ولا داعي للعمل على تذليلها أو حلها .

وبإستمرار تحمل الناس وتعودها عليها , أو إستعبادهم بها , تزداد مساحة العمى العقلي وتتطور , فتتعقد المشاكل وتغيب الحلول , فالعقل مكفوف , والإرادة مقيدة بقدرات العمى وتداعياته المؤثرة في الآخرين , والمحققة لرغبات الأعمى عقليا.

وللعمى العقلي تطبيقات سلوكية على جميع مناحي ومستويات الحياة بأنواعها , وما يتصل بها من أهداف وغايات.

فهل يمكن للأعمى عقليا أن يُصلح حالة البلاد والعباد؟!!

***

الأعمى عقليا , لا يمكنه أن يقر بوجود الفظائع المتكررة من حوله , ويسعى حتى لتسويغها وتبريرها , ويحسبها حالة غير حاصلة أو موجودة , ولا يكلف نفسه النظر فيها , وإنما ينقطع تماما عنها

أية مشكلة تبقى بلا حلول وفي تنامي , ذلك أن المسؤولين عنها يعيشون في حالة العمى العقلي , لأنهم في لا وعيهم لا يقرون بوجودها

بإستمرار تحمل الناس وتعودها عليها , أو إستعبادهم بها , تزداد مساحة العمى العقلي وتتطور , فتتعقد المشاكل وتغيب الحلول

سلسلـــة " ومـــا سوهـــــــــــــــــا "

... أفكـــــار نفسيـــــة لحيـــــاة

صادق السامرائي

" بوستـــــــــر " سلسلـــة " ومـــا سوهـــــــــــــــــا "

http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.WaMaSawahaPubBr.pdf

سلسلـــة " ومـــا سوهـــــا " على المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=19&controller=category&id_lang=3

سلسلـــة اصدارات " ومـــا سوهـــا " على شبكة علوم النفس العربية

http://arabpsynet.com/Samarrai/Index.eBSamarrai.htm

سلسلـــة اصدارات " ومـــا سوهـــا " على الفايس بوك

https://www.facebook.com/